

عزة الرواحي



﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

# الكتاب: محراب الخُلة «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» المؤلفة: عزة الرواحي

الطبعة الأولى 2025  
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



<http://lubannews.com>



+96899260386

+96871117037



[lubanbook@gmail.com](mailto:lubanbook@gmail.com)

(سلطنة عمان - مسقط)

---

رقم الإيداع: 8898 / 2025

رقم الإيداع الدولي (ISBN):

978-99969-2-716-4

التصميم الداخلي والغلاف: أحلام الرحبي

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: 131﴾



## إهداء

إلى ذرية إبراهيم التي حرص أن يصل بها إلى أعلى  
مراتب الإيمان..

إلى الذرية التي لم يتوانى خليل الله للحظة أن يغفل  
عنها فرحا بتكريم الله له..

إلى الذرية التي شغلت عقل أبي الأنبياء الأب الحنون  
الرحيم الأواه الحليم..

أهدي لكم محراب الخلة

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِي﴾

(البقرة: 142)

﴿وَبِرًّا بِالَّذِي﴾

لقلبي والديّ اللذين طالما احتضنا إنجازاتي  
بفخر وحب  
أهدي لكما  
محراب الخلّة

## لِيَطْمئنَّ قَلْبِي..

ذات يوم.. وأنا ألوذ من هم أصاب قلبي كنت أمسح على قلبي بتلاوة كلام الله، ولأن الألم كان عميقاً هذه المرة كان لدي جلد أن أقضي جُل وقتي وأنا أتلو باحثة عن ما يطمئن قلبي ويمسح عليه، فمررت على سورة البقرة فشدني الاستسلام والتسليم المطلق لخليل الله عندما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (131)؛ فأيقنت حينها أنني لن أطمئن دون استسلام كلي وفوري لله رب العالمين، وأكملت التلاوة فدلني ربي على الآية الفارقة في سورة النساء وهي قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (125: النساء)، هنا طار قلبي وعزمت أن تكون خمتي هذه المرة بحثاً عن الطمأنينة في محراب الخلّة.

## إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً

إن للمتأمل في مواطن ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم يجد أنه كان شخصا متفردا؛ فالله سبحانه وتعالى أكد تفرد سيدنا إبراهيم من خلال ذكره سبحانه لصفاته الذاتية والمهام التي اختصه بها؛ لذلك جعله للناس إماما ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ﴾ (البقرة: 142)، فالإمام هو من يقتدى به، ولم ينل الخليل شرف الإمامة إلا من بعد اختبار الله له بما أمره به من أحكام وتكاليف؛ فما كان منه عليه السلام إلا أن قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به وأتم أداءه، وهذه الإمامة لم تقتصر على قومه كباقي الأنبياء والرسل وإنما تعدت ذلك إلى أن وصلت إلينا نحن أيضا!

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الحج: 78).

ومن أجل الأوصاف التي حظي بها الخليل عليه السلام أنه كان أمة؛ وقد سئل عبد الله بن مسعود عن معنى أمة؛ فقال: معلم الناس الخير، وقال العلماء أنه كان كالأمة لجمعه لخصال الخير.

وعند تتبع المواضع التي ذكرت فيها هذه الخصال في القرآن الكريم؛ تستشعر عظم هذا الإنسان الذي تكفل الله بوصفه بصفات عديدة منها الحنيفية والقنوت والإنابة والحلم والشكر؛ فياله من تشريف أن يصفك الله جل جلاله بصفات عظيمة كهذه! حينها تقف لبرهة وتقول وأنا يا الله؟.

## ومضة

نجاحك في الاختبارات التي تمر بها  
يحدد المهام التي سيصطفيك الله لها  
فكن كأبيك إبراهيم وأتمهن؛ لتحظى  
بشرف الاقتفاء وتنال موطنًا في محراب  
الْحُلَّة.

## وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

حرص إمام التوحيد أن ينأى بنفسه وبنيه عن الشرك بكل الطرق؛ فعندما رأى إصرار قومه على الشرك بالله تبرأ من شركهم ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بِرَبِّيءٍ مُّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19]؛ وقال لهم أيضا في موضع آخر ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (78، 79: الأنعام)؛ فعلى الرغم من حلمه عليه السلام فهو الأواه الحليم إلا أنه عند المساس بالذات الإلهية تظهر الشدة والقوة لدرجة التبرؤ من أقرب الناس إليه، فلكل مقام مقال فالثوابت في الدين لا يمكن التساهل مع من يسعى لهدمها أو المساس بها، وهذه القوة قادته لتحطيم آلهتهم دون خوف فقال لهم: ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ

مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۚ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ (الأنعام: 81)؛ فشعوره بالأمن الذي تولد من إحقاقه للحق قاده للمواجهة بقوة.

لم يكتفِ عليه السلام بالتبرُّؤ منهم ومن شركهم بل وقرر أيضاً أن يعتزلهم ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (48: مريم)؛ وذكر السعدي في تفسير هذه الآية ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة ﴿عَسَىٰ أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي: ”عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من أيس ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجح فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله“؛ فمجالسة أهل الباطل مدعاة لإهدار الوقت فيما لا ينفع وذلك إن تبين عدم عدولهم عنه.

تبرأ من الشرك واعتزل المشركين، ولكنه لم يأمن على نفسه وهو الذي لقبه الله جل جلاله بالحنيفية؛

فطلب من الله النجاة من الشرك له ولذريته ﴿وَإِذْ  
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي  
وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (ابراهيم: 35).

## ومضة

إن لمحراب الخُلة بطاقات دخول وأولها  
التوحيد الذي لا يمكن أن تكون موقفاً به  
دون رد الباطل ومحاولة إحقاق الحق، وإن  
تعذر؛ فعليك التبرُّؤ منه واعتزله، وحينها لا  
تأمن ببعده عنك فالزم المحراب وادعُ ربك  
أن لا يصيبك منه ما أصاب غيرك.

## أَتَتَدُّ جَبَا لِلَّهِ

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (125: النساء)، نال الخلة بسبب هذه الخلال (الخصال): الاستسلام والإحسان.

قال ابن كثير رحمه الله: وإنما سمي خليل الله: "لشدة محبة ربه عزَّ وجلَّ له؛ لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها"؛ وأحب الأعمال إلى الله الاستسلام الكامل لله وهو لب الإيمان الحق، وقد كان سيدنا إبراهيم أيقونة هذا الاستسلام فكان حنيفاً مسلماً ولم يكُ من المشركين، وهذه الخصلة هي التي قادتته إلى الإحسان التي بهما نال درجة الخلة.

ولو عدنا إلى الصفات التي وصفه الله بها ثناء عليه نجدها نوعين من الصفات: صفات تتعلق بالله، وصفات تتعلق بالآخرين، وعند الوقوف على الصفات المتعلقة بالله نبدأ بأكثرها تكراراً في القرآن الكريم

وهي صفة الحنيفية؛ ولم يكن تكرارها عبثاً فهي نتاج  
للفطرة السليمة والمنهج القويم الذي سار عليه الخليل  
فكانت له ملة.

والحنيفية لغةً كما جاء في لسان العرب: "الميل،  
ويقال تحنف فلان إلى الشيء إذا مال إليه.. والحنيف:  
الصحيح المَيْل إلى الإسلام والثابت عليه".

## ومضة

ذكر ابن أبي العز في كتابه شرح العقيدة الطحاوية مراتب الحب؛ فبدأها بالعلاقة:

”وهي تعلق القلب بالمحبوب“. ثم الإرادة: ”وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له“. وفي المرتبة الثالثة الصبابة: ”وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور“.

والرابعة الغرام: ”وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم، لملازمته“ وفي المرتبة الخامسة المودة: ”وهي صفو المحبة وخالصها ولبها. والسادسة



الشغف: ”وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب“. ويأتي بعدها العشق:

”وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه“ تأدبا مع الله جل في علاه، وقد اختلف العلماء في ذلك ومنهم أخذ بالامتناع على الإطلاق كون أن العشق محبة مع شهوة. وفي المرتبة الثامنة التتيم: ”وهو بمعنى التعبد“. والتاسعة التعبد. وجاء في أعلى مراتب الحب الخلة: ”وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه“.

## وَتِلْكَ حُبَّتْنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ

المتدبر في قصة سيدنا إبراهيم في كتاب الله يُعرض عليه وقفات أظهرت الخليل وهو يبارز بها خصمه دفاعا عن التوحيد؛ ولكن اختلفت الأساليب باختلاف الخصم.

فعندما كانت المحاجة مع أبيه كانت الألفاظ مختلفة؛ فاستخدم أسلوب الوعظ مع تقديم الحجج والبراهين وتكرار "يا أبتى" تطفئا وبرابه، وكان الرد:

﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۚ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ ۚ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ (مريم: 46)، رغم قسوة الرد لكن بقي أسلوب اللطف والبر فكان الرد: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۚ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۚ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (مريم: 47)؛ وهنا نرى إبراهيم كيف يسعى للموازنة بين ما يمتلكه من علم ورغبته في بقاء السلام بينه وبين أبيه. واستخدم أسلوب المناظرة مع النمرود الذي ادعى

الربوبية؛ فبدأ الخليل عليه السلام بالتعريف بالرب بدليله الأول وهو أنه يحيي ويميت، ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وهنا كما أورد ابن كثير في تفسيره "قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أنه أوتي برجلين قد استحقا القتل فأمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالعضو عن الآخر فلا يقتل"، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته؛ متجاهلا ما يعنيه إبراهيم محاولا بذلك تأكيد القدرة والمشية التي يمتلكها كملك وإن كانت لا ترقى لما كان يقصده إبراهيم عليه السلام، لم يقف إبراهيم على ذلك وانتقل به مباشرة إلى تحدٍ آخر على مستوى السنن والظواهر الكونية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: 258)، فهنا وقف النمرود عاجزا أمام هذا التحدي ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَءَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 258).

وعند الوقوف على المناظرة التي خاضها الخليل مع قومه في التعرف على الله من خلال الكواكب التي كان يعبدها أبوه وقومه كما وضحتها الآيات في سورة الأنعام:

﴿فَلَمَّا جَبَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ  
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (76):  
**الأنعام**؛ اختلف العلماء بشأنها هل كانت موضع نظر  
 من إبراهيم للوصول إلى ربه أم مناظرة مع قومه؟؛ وقد  
 رجح عدد من العلماء أنها كانت مناظرة حيث ورد في  
 صفة التفاسير قول الزمخشري في هذا المقال: "كان  
 أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أن ينبههم  
 على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر  
 والاستدلال"، وهنا استخدم سيدنا إبراهيم طريقتين  
 في تقديم الحجة ودحض الباطل مع مجارة الخصم  
 والنزول إلى تفكيره، ولعل ما يبرز مهارة الخليل في  
 هذه المناظرة الدمج بين مسارين للإقناع كما وضحاها  
 علماء النفس في كتاب الانفعالات Emotion للمؤلفين  
 N.Shiota&W.Kalat: "الطريق المركزي للإقناع ويتكون  
 من تقديم الحقائق والمنطق، والطريق المحيطي للإقناع  
 ويتكون من عوامل تتطلب عرض".

لم يقتصر الخليل في مناظرة قومه وأبيه على هذه  
 المحاجة؛ فقد جادلهم في الأصنام التي كانوا يعبدونها

من دون الله، وقدم لهم الحجج والبراهين مرة أخرى، وكان له موقفاً حازماً بتحطيمها.

وعند الوقوف على ماهية البراهين التي استخدمها الخليل في دحض الشرك نجد أنها تتلخص في التعريف بالله من خلال أفعاله وصفاته ومقارنتها بأفعال الشركاء؛ حيث لا يمكن أن يترسخ في القلب التوحيد كعقيدة إلا بمعرفة الله من هذا الطريق؛ وهذا هو ديدن من أراد الوصول إلى التوحيد والبدء بأولى الخطوات في محراب الخلعة من هذا الباب.

## ومضة

**الجدل:** دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.

**المناظرة:** لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحًا، هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارًا للصواب.

**المصدر/ كتاب التعريفات للجرجاني**

## إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي

تختلف أنواع الهجرات باختلاف الغايات، ولعل من أعظم الهجرات هي هجرة الأنبياء؛ فالمتبع لقصص الأنبياء يجد أن أكثر الأنبياء هجروا أقوامهم بسبب الإيذاء والكفر، ولكن لم تكن تلك الهجرة هجرة جسد فقط؛ بل هي هجرة روح ﴿قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت: 26)، فهجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت إلى الشام بعد ما لاقى من قومه من أذى وعدم استجابة فهجر أرض السوء كما ذكرت التفاسير؛ حيث لم تكن تلك الهجرة هجرة أقدام فحسب؛ بل هجرة إقدام، مهاجر إلى ربي أترك قومي وعشيرتي وأرضي الله وأتوجه إلى الله تاركا خلفي كل ما يخالف أمر الله.

مهاجر إلى ربي سائر إلى الوجهة التي اختارها لي ربي، متمسكا بعقيدة راسخة تحرك جوارحي نحو الله والله فقط؛ لذلك كانت النتيجة كما ذكرها الله سبحانه:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ  
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ  
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: 27)؛  
وعنا تتجلى قاعدة العوض.

فبهذه الهجرة نال عليه السلام خيري الدنيا والآخرة  
لأنه صدق مع الله وترك كل شيء لله وحده مؤمناً به  
موقناً بعوضه مستسلماً لأمره.

## ومضة

إن الثمن الذي يتطلبه الظفر بموطئا في  
محراب الخلة هو التجرد من كل ما  
يعيق الوجهة إلى الله؛ فهاجر بقلبك قبل  
بدنك، اهجر كل ما يقف أمام لحظة  
أنس تحظى بها مع الله.

## رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ

إبراهيم هذه الشخصية الفذة التي تجدها في سعي دائم نحو الوصول إلى أعلى مراتب الإيمان؛ رغم قوة إيمانه وحنيفيته التي امتدحه الله بها؛ إلا أنه سعى للارتقاء بإيمانه ليصل إلى اليقين في أعلى مراتبه، فاليقين أعلى مراتب الإيمان؛ وقال ابن القيم في مدارج السالكين أنه كمنزلة الروح من الجسد، وذكر أنه على ثلاث درجات:

1. علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق (أوامر ونواهي)، وقبول ما غاب من الحق (الإيمان بالغيب)، والوقوف على ما قام بالحق (أسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه).

2. عين اليقين: وهو طلب الدليل للحصول على العلم بالمدلول.

3. حق اليقين: أي تحققه وثبوتة فينتقل من العلم إلى الشهود.

فالخليل عليه السلام حرص للوصول إلى أعلى مراتب اليقين عندما سأل ربه ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (البقرة: 260)، وقد ورد في الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحيدي: «ذلك أنه رأى جيفةً بساحل البحر يتناولها سباع الطير والوحش ودوابُّ البحر ففكَّر كيف يجتمع ما قد تفرَّق منها وأحبَّ أن يرى ذلك فسأل الله تعالى أن يُريه إحياء الموتى فقال الله تعالى: ﴿أولم تؤمن﴾ أليست آمنت بذلك؟ ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ بالمُعينة بعد الإيمان بالغيب ﴿قال: فخذ أربعة من الطير﴾ طاووسًا ونسراً وغرابًا وديكًا ﴿فصرهنَّ إليك﴾ أي: قطعهنَّ كأنه قال: خذ إليك أربعة من الطير فقطعهنَّ ﴿ثمَّ اجعل على كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ثمَّ أمر أن يخلط ريشها ولحومها ثمَّ يفرِّق أجزاءها بأن يجعلها على أربعة أجبالٍ ففعل ذلك إبراهيم وأمسك رؤوسهنَّ عنده ثمَّ دعاهنَّ فقال: تعالين بإذن الله فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها إلى بعض حتى تكاملت أجزاءها ثمَّ أقبلن على رؤوسهنَّ فذلك قوله:

﴿ثُمَّ اذْعُهُمْ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ  
عَزِيزٌ﴾ لا يمتنع عليه ما يريد ﴿حَكِيمٌ﴾.

وهنا أراد أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين  
فيتحقق بذلك حق اليقين لديه وقد ذكر البغوي في  
تفسيره معالم التنزيل "قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَالَ بَلَى: يَا رَبِّ  
عَلِمْتَ وَأَمَنْتَ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، أَي: لِيَسْكُنَ قَلْبِي  
إِلَى الْمَعَايِنَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ، أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ لَهُ عِلْمُ الْيَقِينِ  
عَيْنَ الْيَقِينِ، لِأَنَّ الْخَبَرَ لَيْسَ كَالْمَعَايِنَةِ".

## ومضة

إن حق اليقين بالمشاهدة لم ينلها إلا  
الأنبياء والرسل، لكن قد يصل المؤمن  
لهذه المرتبة بالشواهد للوصول إلى الإيمان  
الحق في أعلى مراتبه، فابدأ بقلبك وابدأ  
في حقائق الإيمان بالنظر في آيات الله  
المكتوبة والمنظورة وشرع في العبادات  
القلبية لتتل هذه المرتبة.

## إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ

ذكر الصابوني في مختصر ابن كثير في تأويل كلمة أوّاه أن ابن مسعود قال : الأواه الدعاء؛ وقال ابن جرير: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْأَوَّاهُ؟ قَالَ: "المتضرع"، وفي لسان العرب ذكر ابن منظور في تعريف الأواه "قيل: المتضرع يقيناً أي إيقاناً بالإجابة ولُزُومًا للطاعة؛ هذا قول الزجاج، وقيل: الأواه المسبح، وقيل: هو الكثير الثناء. ويقال: الأواه الدعاء".

تخيل أن يلقبك الله بالأواه لكثرة دعائك!، فالخليل كان يلجأ للدعاء في كل محطات حياته التي ذكرها الله لنا في كتابه، بدءاً بدعوته لأبيه وقومه وهو يتبرأ من شركهم ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (48: مريم)، وكان دعاؤه مستمرا في كل خطواته فحتى عندما استجاب لأمر الله ببناء الكعبة مع ابنه إسماعيل توجه مباشرة إلى الدعاء ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ

مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿البقرة: 127﴾،  
ودائماً ما يغلف أدعيته عليه السلام بالثناء لله بأسمائه  
وصفاته وأفعاله.

ولم يكن دعاء الخليل دعاءً عادياً فانظر إلى  
دعائه عندما ترك هاجر واسماعيل ﴿رَبَّنَا إِنِّي  
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ  
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ  
أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ  
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿إبراهيم: 37﴾؛  
يذكر بنفسه انعدام الأسباب (بوادٍ غير ذي زرع) فبالرغم  
من ذلك كان اليقين برب الأسباب حاضر فأكمل  
دعائه وارزقهم من الثمرات!!

لذلك نجد دائماً سقف المطالب عند الخليل عالية  
فكان من أسمى مطالبه ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ  
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿الشعراء: 84﴾، فكان له  
ذلك؛ فالمتتبع لأدعيته يجد أنها استجيبت له، وكيف  
لا وهو الخليل!!



# ومضة

اجعل خطواتك دائما محفوفة بالدعاء،  
وارفع السقف فأنت في حضرة الكريم  
المجيب القادر المقتدر.

## مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد؛ حظيت هذه الأمة بشرف ذكر الخليل يوميا وفي كل صلاة دون باقي الأنبياء؛ وهذا يقودنا للبحث في ماهية العلاقة بين أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام.

بدأت هذه العلاقة الأبوية بدعائه وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 128)؛ وفي تفسير هذه الآية ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير ” وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ﴾ يتعين أن يكون من ذريتنا ومسلمة معمولين

لفعل واجعلنا بطريق العطف، وهذا دعاء بقاء دينهما في ذريتهما، و(مِنْ) في قوله: وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا للتبويض، وإنما سألاً ذلك لبعض الذرية جمعاً بين الحرص على حصول الفضيلة للذرية وبين الأدب في الدعاء لأن نبوءة إبراهيم تقتضي علمه بأنه ستكون ذريته أمماً كثيرة وأن حكمة الله في هذا العالم جرت على أنه لا يخلو من اشتماله على الأخيار والأشرار فدعا الله بالممكن عادة، وهذا من أدب الدعاء.. ومن هنا ابتدئ التعريض بالمشركين الذين أعرضوا عن التوحيد واتبعوا الشرك، والتمهيد لشرف الدين المحمدي.

ولم يقتصر على هذه الدعوة عليه السلام؛ بل أعقبها بدعوة لها من الفضل العظيم على أمة محمد فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة : 129)؛ وفي تأويل هذه الآية ذكر الطبري قول أبي جعفر: ”وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، وهي الدعوة التي كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى»“.

وإن ما نراه اليوم من تهافت الديانات الأخرى للانتساب إلى أبي الأنبياء كان له رد واضح من الله في سورة آل عمران بقوله: ﴿مَا كَانِ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانِ حَنِيفًا مِّسْلِمًا وَمَا كَانِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (76)﴾؛ وهذه الحنيفية التي أمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باتباعها: ﴿ثُمَّ أُوحِيَنا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (النحل: 123)﴾.

وهذا الاتباع لم يقتصر على الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بل أمرت أمته باتباع الخليل فقال الله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..﴾ (المتحنة: 4)، وتأكيذا على تشريف هذه الأمة بالانتساب إلى الخليل قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ..﴾ (الحج: 78).



## ومضة

إن استشعارك لفضل الخليل عليك  
خاصة وعلى الأمة عامة بحرصه للدعاء  
لك.. يجعل ترديدك للصلاة الإبراهيمية  
لها لذة مختلفة، ويقودك إلى الإكثار  
من ذكره انتماءً له وردًا لهذا الفضل.

## وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

عندما كان الاستسلام المباشر والطواعية المطلقة سمة اختص بها الخليل منذ البداية ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: 131﴾، جاء الاصطفاء من الله ليكون خليلا له؛ فهذا الإمام الذي كان أسوة لأمم من بعده لم يصل لذلك إلا بفضل من الله واصطفاء منه.

ويتجلى استسلام الخليل في كل الوقفات التي تضمنتها قصته عليه السلام في القرآن، ولعل ما يميز قصة الخليل عن باقي الأنبياء هو اظهار عبوديته أكثر من كونها سرد لأحداث كباقي قصص الأنبياء؛ لذلك كثيرا ما قرنت بصفات لقبها المولى جل في علاه لخليله تكريما له.

أُبتلي بكفر أبيه وما أصعب أن يبتلى المرء بوالديه والأمر أن يكون ذلك الابتلاء في دينهم، ثم يبتلى بترك ابنه وزوجته في واد غير ذي زرع، ثم بذبح ابنه الذي

انتظره طويلا، فكان الاستسلام الكامل والتسليم التام  
طريقه دون تردد؛ كيف لا؟ وهو إمام التوحيد العالم  
بالله الموقن بفضله جل في علاه.

## ومضة

إن العبودية المطلقة تكمن في مقدار  
الاستسلام لله، فاستسلامك يقودك إلى الأخذ  
بأوامره جل في علاه والكف عن نواهيه،  
وهو أيضا ما يجعلك تقف أمام التحديات  
والابتلاءات التي تواجهها وأنت تتحرى لطف  
الله فيها وتوقن بخيرها فترضى بها وبما قسم  
الله لك.

## قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

إبراهيم اسمٌ أعجميُّ له أصلٌ عربي كما ذكر ابن منظور في لسان العرب وهو ”برهمة الشجر: برعمته، وهو مجتمع ورقه وثمره ونوره، وبرهم: أدام النظر“، ومن اللطائف ما ورد في المطع على ألفاظ المقنع على لسان الماوردي أن معنى إبراهيم باللغة السريانية الأب الرحيم!

وكما يقول العرب كل إنسان له من اسمه نصيب؛ فأبو الأنبياء كان مثالا للأب الرحيم الذي لم يفتر عن ذكر ذريته والدعاء لها؛ حتى في لحظة التكريم كان قلبه الرحيم حاضرا مع ذريته ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة: 124).

وكان كثيرا ما يقرن دعاءه لنفسه بالدعاء لذريته ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي

وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ (إبراهيم: 35) وأيضا في قوله ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: 40)، وما يميز أبا الأنبياء في دعائه لفظة (ذريتي) أي جميع نسله إلى قيام الساعة.

والمتبع لأدعية سيدنا إبراهيم لذريته نجده يشملهم بالدعاء في صلاح دينهم، وأجمل ذلك في دعائه عليه السلام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصفات: 100)؛ فكانت استجابة الله له بأن جعل في ذريته النبوة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: 27).

## ومضة

إن من أجل ما تقدمه لأبنائك هو الدعاء لهم، وعند توفيق الله لك بذكرهم والدعاء لهم لا تقتصر على الدعاء لهم لدنياهم فاشملهم بدعوات تجعل لهم منزلة عند الله وكن كريما واشمل جميع ذريتك في دعائك.

## وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ

هنا أطلب منك أيها القارئ الكريم استذكار موضوع ﴿وَتَلَكَّ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ لتلمس معا مواطن الرُشد في هذه الشخصية الفذة؛ وكيف استخدم عليه السلام المنهج الاستدلالي للوصول إلى الحقائق مبنيًا على علم وتفكير وفطرة سليمة.

اعتمد عليه السلام في أمر التفكير في الكواكب التي سبق ذكرها - بغض النظر عن الاختلاف في تفسيرها إن كانت محل نظر أو مناظرة- على الاستدلال للوصول إلى المعرفة ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً

قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ  
إِنِّي بريء مما تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ  
وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا  
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿الأنعام: 76-80﴾؛  
فالمشكلة كانت واضحة وهي: من هو الرب؟، ثم بدء  
بالفرضيات (الكوكب، ثم القمر، ثم الشمس)، فاستخدم  
الملاحظة المبنية على المعلومات السابقة التي تعتمد  
على الفطرة السليمة بأنه لا يمكن لإله أن يأفل فالفطرة  
السليمة تقود إلى أن الرب لا بد أن يكون معك دائما،  
وهنا نصل إلى المرحلة الرابعة في المنهج الاستدلالي  
وهو الاستنتاج ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي  
فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ﴾؛ بأن الإله الحق هو الذي خلق  
هذه الكواكب التي تأفل وتعود.

ولعل ما يُبرز الرشد أيضا في قصة الخليل عليه  
السلام مع قومه رده الذي وجهه إلى قومه بعد تحطيمه  
لأصنامهم ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ  
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿الأنبياء: 63﴾؛ وجههم  
به إلى التفكير والتدبر في هذه الآلهة التي يعبدونها

التي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا فكيف ستنتفعهم أو  
تضرهم؟!!

ف نجد دائما في جداله مع خصومه استخدامه للحوار  
والمناقشة بتوجيه أسئلة مثيرة للتفكير؛ يتدرج من  
خلالها بهدف الوصول للمعرفة (انظر إلى حوارهِ مع  
أبيه)، ودائما ما يغلفها جمال سرعة البديهة التي تعينه  
على انتقاء الألفاظ بما يتناسب مع الموقف؛ انظر إلى  
حواره مع قومه وأبيه في سورة الشعراء ﴿وَأَثَلُ عَلَىٰهِمْ  
نَبَأَ إِيزَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70)  
قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَاقِبِينَ (71) قَالَ  
هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنفَعُونَكُم  
أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ  
يَفْعَلُونَ (74)﴾؛ وجههم إلى التفكير ولكنهم اختاروا  
أن يسلكوا سلوك القطيع في اتباعهم لمن سبقهم.

ويتجلى رشد الخليل عليه السلام أيضا في انتقائه  
للألفاظ في حديثه عن الله جل في علاه ومعه؛ فمعرفة  
بالله دائما ما تقوده إلى البدء أو الانتهاء بالثناء عليه  
من خلال التعريف به؛ وهذا ما كان دائما يظهر تأدبا  
مع الله حتى في سؤاله ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

تُحْيِي الْمَوْتَى ۗ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۗ قَالَ بَلَىٰ  
وَلَكِن لَّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿البقرة: 260﴾؛ قال  
بلى فالمراد الوصول إلى حق اليقين والوصول إلى أعلى  
مراتب الإيمان؛ وبلى كما وردت في لسان العرب هي  
”جواب للتحقيق يوجب ما يقال لك لأنها ترك للنفي،  
وهي حرف لأنها نقيضة لا“.

## ومضة

الإيمان بالغيب والاستسلام الكامل لله  
هو لب الإيمان الحق؛ فبه تصل إلى  
العبودية والخضوع؛ إلا أن استخدام  
المعرفة والاستدلال للوصول إلى  
معرفة الله السبيل لترسيخ هذا الإيمان  
والوصول إلى أعلى مراتبه؛ لذلك دائماً  
ما نجد في القرآن الكريم الحث على  
ذلك: أفلا يتدبرون، أفلا يعقلون، أفلا  
يتفكرون؛ فأمرنا بالتفكير والتدبر في  
آيات الله المسطورة والمنظورة.

## إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدَّعَاءِ

وفي محراب الخلة كان لإبراهيم عليه السلام عبادة جليلة قائمة على العلم واليقين؛ فوجد أن الخليل كثيرا ما يقرن حديثه بأسماء الله وصفاته فالمحب دائم الذكر لمحجوبه كثير الثناء عليه وهنا اجتمع لدى الخليل الحب والعلم والتسليم؛ فكان لا بد من الانشغال بالمحجوب دون غيره.

وعند تتبع ذلك تجد انتقاء خاص يغرقك في ماهية اللذة التي يشعر بها إبراهيم وهو يتحدث عن ربه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: 47) أي - كما وردت في تفسير السعدي- ”رحيما رؤوفا بحالي، معنيا بي“؛ سبحان الله تأسرني هذه اللفظة حفيا! تشعر أن إبراهيم من خلال المواقف التي مر بها رغم صعوبتها لكن يقينه بعناية الله له دائما ما تجعله يُظهر قوة وثقة بيّنة؛ فعند دعوته لأبيه ولقومه ومن ثم رميه في النار، وعندما أمر بذبح أحب الناس إليه.. كلها مواقف تؤكد

على هذه العناية المترسخة في ذهن إبراهيم فكان يمضي دون تردد.

وفي السياق ذاته وهو يحاور أباه لاحظ استخدام كلمة الرحمن ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: 45) في موضع يتطلب ذكر صفة من صفات الجلال حيث أنه عليه السلام كان يوضح لأبيه عاقبة كفره؛ لكنه أراد من الحديث التلطف ونقل هذا الشعور الجميل الذي يملكه إلى أبيه لعله يدرك جمال هذا الإله!

وكثيرا ما يلهج إبراهيم عليه السلام بالثناء على الله؛ فنجد في سورة الشعراء كيف عرف إبراهيم ربه بذكر أفضاله عليه ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)﴾؛ وهنا نلاحظ تأدبا مع الرب؛ حيث نسب إلى الله جل جلاله خلقه وإطعامه وإماتته ولكن في المرض قال وإذا مرضت تأدبا وتعظيما.



## ومضة

من عرف الله أحبه ومن أحبه أدرك معيته  
وسار إليه بقلبه دون أن يأبه بنازلة تصيبه؛  
فالمحب كلما أحاطه محبوبه بالعناية  
والرعاية عظم هذا الحب، وكلما امتلأ  
القلب حبا فاض به اللسان ذكراً؛ فالذاكر  
المكثر الساعي لتعريف الله لخلقه هو من  
ذاق لذة الحب.

## تَتَاكَّرًا لِنِعْمَةِ

إِذَا كَانَتْ شُكْرِي نِعْمَةً لِلَّهِ نِعْمَةً  
عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ  
فَكَيْفَ بَلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ  
وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ  
إِذَا مُسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُورُهَا  
وَإِنْ مُسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعَقَبَهَا الْأَجْرُ  
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ  
تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبُرُّ وَالْبَحْرُ

محمود الوراق

يذكر ابن القيم في مدارج السالكين الفرق بين  
الشكر والحمد أن الشكر "يكون بالقلب خضوعاً  
واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة  
وانقياداً، ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا

يقال: شكرنا الله على حياته سمعته وبصره وعلمه. وهو المحمود عليها. كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعمة فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإن الشكر يقع بالجوارح. والحمد يقع بالقلب واللسان.

وإن أسقطنا هذا التعريف على حياة الخليل من خلال وقفاتنا السابقة لأبصرنا أنموذجا حيا له؛ فالخضوع والاستكانة كانت سمة الخليل بدءًا برده: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: 131﴾ مرورًا بترك زوجته وابنتهما الرضيع وابتلائه بذبح ابنه -على سبيل المثال لا الحصر-، وثناءه باللسان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿إبراهيم: 39﴾، وشكره للجوارح عليه السلام من خلال دعوة قومه وبناءه للكعبة، وسعيه المتواصل لطاعته سبحانه؛ فحظي بهذا الاعتراف والثناء من الله ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿إبراهيم: 121﴾.

النعمة هي السبيل إلى معرفة المنعم فكان الخليل  
عليه السلام لديه من المعرفة بالمنعم ما جعله شاكرا  
لأنعمه في كل حالاته وذلك بخضوعه له واستسلامه له  
وعبادته له حق العبادة فكان له الاجتباء والهداية.

## ومضة

إن طريق الاجتباء والهداية يتطلب منك  
عبودية قلب وجوارح (وهذا هو الشكر)؛  
فيقول الله في الحديث الصحيح عن النبي  
ﷺ: قال الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا  
معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه؛  
ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ؛ ذكرته  
في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرًا؛  
تقربت منه ذراعًا، وإن تقرب مني ذراعًا؛  
تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي؛ أتيته  
هرولة“

فالبداية منك لتتل الاجتباء والهداية.

## وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

بعد هذه الوقفات التدبرية في قصة أبو الأنبياء التي لا تخلو جزما من قصور؛ فكيف لنا أن نُجمل تلك الشمائل التي بلغت من الكمال أن يقول الله جل في علاه عنه ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: 37)؛ فقد وفى بكل ما أمر به وبكل ما ابتلي به فكان الاستسلام المطلق الذي جسد أعلى مراتب العبودية والخضوع.

فهذه العبودية الاستثنائية أفضت به إلى الوصول إلى أعلى مراتب الحب لدى الذات الإلهية!! يا الله.. تشعر بشيء من القشعريرة وأنت تحاول إدراك خُلة سماوية لا يمكن لمن ركن إلى الأرض أن يتلمس ماهيتها أو أن يدرك شيئا منها، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: 125) ذكر السعدي في تفسير هذه الآية «إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفى بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذه خليلا، ونوه بذكره في العالمين“.

عند تتبعك لذكر الخليل في القرآن تجد بأن الله  
حرص على وصفه في أغلب مواضع ذكره وكأنه جل  
في علاه يخبرنا بأن هذه الصفات والشمائل هي التي  
رفعت عليه السلام لمنزلة الخلّة؛ فقد زحرت الآيات  
التي تناولت ذكر الخليل بالثناء؛ فهو الحليم الأواه  
الشاكر الكريم الحنيف القانت المنيب..، ومن أقوى  
الأوصاف وأشملها أنه كان أمة!!

# ومضة

أدعوك ونفسي أن نُجمل جميع  
الصفات التي أثنى الله بها على الخليل  
ونبحث عنها في أنفسنا، ولنسعى  
جاهدين أن نتشبت بها بحثا عن موطننا  
لنا في محراب الخُلة.

## وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ

إن المقتفي لآثار الخليل عليه السلام في القرآن الكريم؛ يجد أنه أمام شخصية مبهرة لزمت محرابها في جميع محطات الحياة، شخصية حملت صفات ترقى إلى الكمال؛ والعجيب الجميل أنك تتنقل من ثناء إلى ثناء أعمق وأجمل فالمتفضل بالثناء هو الجامع الذي جمع صفات الكمال والجمال؛ لك أن تتخيل وأنت تتعقب هذه المدائح كيف لمحّب يذكر خليله!!  
والله إنها من أجمل الرحلات التي عزمْتُ على خوضها وأنا أتلو كتاب الله لأتشافى من ألمٍ عجزتُ عن مداواته، خرجتُ منها بقلب آخر قلب يهفو ليجعل له موطئاً في محراب الخلة.

ختاماً هذا ما أعانني الله على تدبره في هذه الرحلة الفريدة، والآن أترك لكل من حظيت بشرف اقتنائه لهذا الكتاب أن يشاطرنى لذة الآثار التي وفقه الله إلى تدبرها في رحلته وهو يقتفي أثر الخليل في محراب الخلة.



a.n.rawahi@gmail.com

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت  
على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى  
آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في  
العالمين، إنك حميد مجيد



## المراجع

- ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417هـ، 1997م.
- بن أبي الفضل البعلي، محمد بن أبي الفتح، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق محمود الأرنؤوط، مكتبة السوادى للتوزيع، 1423 هـ، 2003م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2005م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م.

■ الطبري، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م.

■ الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، ط7، بيروت، دار القرآن الكريم، 1402هـ، 1981م.

■ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ - 1997م.

■ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، دمشق 1415هـ.

■ الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751هـ)، مدارج السالكين في منازل السائرين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1440هـ، 2019م.

■ ابن عاشور، محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.

## الفهرس

- 6 ..... لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ..
- 7 ..... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
- 10 ..... وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
- 14 ..... أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
- 18 ..... وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ
- 23 ..... إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي
- 26 ..... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ
- 30 ..... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
- 33 ..... مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ
- 37 ..... وَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

40 ..... قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

43 ..... وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ

48 ..... إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ

51 ..... شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ

55 ..... وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

58 ..... وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ

